

للانسانية . فاجبتها بلهجة عاتبة ، وقد اظهرت من الكرم ما يندى له جبين حاتم طي : « لا .. لا ينبغي ان تقولي هذا » وكأنها شعرت بصدق لهجتي وكرمي الفياض ، فاستدركت قائلة : « اني لا آكل الا صنفاً واحداً .. سمكة صغيرة مثلاً .. ان الناس يأكلون كثيراً في هذه الايام .. وليس هذا من الحكمة في شيء .. ألا يوجد عندهم سمك سالمون ؟ » ولم يكن السالمون قد بدأ موسم بعد ، ولم يكن له اي ذكره على قائمة الطعام ، لكن الجارسون لا يسعه ان يخيب لي طلباً ، ان سمكة سالمون رائعة قد وصلت الآن .. انها اول سمكة من نوعها تصلهم في هذا العام

وكان الجارسون - والحق يقال - اكثر كرمًا وارجحية مني ، فسرعات ما عاد وهو يقول : « هل تريد السيدة شيئاً آخر بينما تعد السمكة ؟ » وكان ما زجوته ، فان السيدة لا تأكل الا صنفاً واحداً .. الا .. اذا كان لديهم بعض الكافيار فالكافيار لا بأس به . وخاصة قبل الطعام .. انه يفتح الشهية والكافيار احد المعجنات

السريعة الهضم ، التي يسيل لها لعابك مرات ولا تستطيع الحصول عليها .. وتناولت قائمة الطعام ، واستعرضت الاسعار ، ثم طلبت كافيار

للسيدة .. وشرحة اجم غم لنفسي .. ولم اكن اعرف ان صاحبتني قد درست الطب ، فقد راحت تشرح لي : « ان مثل هذه اللحوم الحمراء تنهك المعدة ، بينما السمك .. وسمك السالمون خاصة لا يعيقك عن العمل حتى لو اكلت منه كمية كبيرة ، فهو يمر بالترانزيت . » ولم احاول ان ادافع عن نفسي ، اذ لم تكن لي اية خبرة باللحوم ، كما انها لم تترك لي اي مجال ، فقد انتقلت بسرعة ، هل رأيت الطائرات النفاثة ، من الحديث عن اللحوم الى الحديث عن المشروب ، وهي بالطبع لا تشرب اي شيء وخاصة في الغداء .. اما انا فلم اكن بحاجة لسؤال . ويظهر ان صاحبتني مغرمة بكل فرنسي الاصل ، فالنيبيذ الابيض الفرنسي لا يعادله في سرعة الهضم الا سمك السالمون . ولم يكن النيبيذ الابيض ليكلف غالباً ، لكن الدكتور منعها ان تشرب اي شيء .. ما عدا الشامبانيا .. ولم يكن هناك مجال للتردد ، فطلبت نصف زجاجة ، فسألني

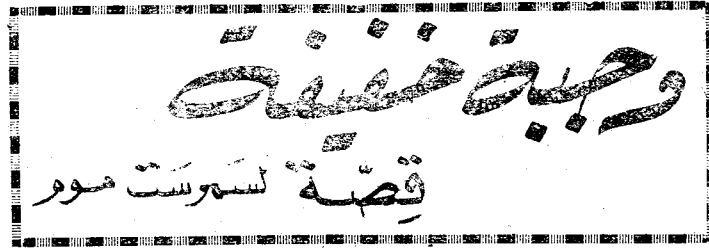
كانت قد قرأت كتاباً لي كما يظهر ، فكتبت لي تتحدث عن العبقرية الفياضة والملاحظة الدقيقة ، والملكة الانتقادية و .. قالت اخيراً انها تريد مقابلتي ، ولكن وقتها الثمين لا يسمح لها ، ومع ذلك فلا بأس ان اقابلها ، وحددت الزمان والمكان ، في مطعم فوييه . ويظهر ان صاحبتني كانت رفيقة بي . فمطعم فوييه لا يستقبل الا اعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي .. ولم يسعني ان ارفض ، وقد اطرتني ذلك الاطراء البديع ، وهل يمكنني ان ارفض طلباً .. لسيدة ؟ ..

وكان الشهر في اوائله ، فلا بد من مشروع تقنين لمدة لا تزيد كثيراً عن الخمسة عشر يوماً . ورحت اضرب حماساً باسداس ، واتذكر مبادئ الحساب التي كان المعلم يوصينا بانباها .. غداء معتدل لا يكلف عادة اكثر من خمسة عشر فرنكاً ذهبياً .. فيتبقى خمسة وستون .. واذا اقتطعت مصروف القهوة ، فيمكن ان تتكفل الخمسة والستون فرنكاً ذهبياً باسعافني حتى نهاية الشهر .

وكان يوم الخميس .. ونعمت مرآتي الوحيدة بمجالستي لزم من طويل ...

لكنها لم تكن جذابة .. كانت تتقدم نحو الاربعين بسرعة فائقة .. وماذا يعمل ابن عشرين في ضعف عمره ؟ . وكانت لا تتحدث كثيراً .. اما اذا ذكر الادب .. اذا ذكر الفن .. فيجب ان تنصت باهتمام .. انها تحدثك عن مدارس الرسم .. عن نزعات الادب .. عن الكاريكاتور في الادب .. وعندما وصلت الي تذكرت اني لم انظف اذني منذ اكثر من شهر . يمكنك دائماً ألا تنصت الى الاحاديث .. فبوسعك ان توافق عند كل لفظة .. ولكن عندما يتجه الحديث اليك تتساءل : « لماذا لم يخلق الله للانسان اكثر من اذنين ؟ »

وجاءت قائمة الطعام ، وكانت اعلى مركزاً من مركز اعضاء مجلس الشيوخ .. ويظهر ان صاحبتني ذكية اكثر من اللازم ، فحاولت ان نظمني قائلة : « انني لا آكل اي شيء في الغداء » وتذكرت آنذاك ان الاطباء كثيراً ما يقننون الوجبات لمرضاهم . وتذكرت ايضاً ان الطب ذو نفع عظيم



قائلة : « وماذا قررت ان تشرب ؟ » ولم اعهد نفسي حاضر البديهة كما كنت في ذلك الحين ، فرحت اسرد لها نصائح الدكتور الذي عادني منذ شهرين ، وحرمت عليّ تحريماً باتاً ان ادوق الخمر

وعندما جاء السالمون عادت صاحبتني الى الادب .. الى الفن .. وكانت ذات ذوق رفيع تستمتع بالموسيقى الهادئة التي تناسب في ارجاء مطعم فوييه .. وسرعان ما انتقلنا الى جو آخر حين وصل صحنني .. الى جو اللحوم .. اللحوم الثقيلة الهضم .. والخفيفة الهضم .. والاديب .. وخاصة اذا كان مثلي يجب الا يأكل وجبة ثقيلة .. ليستطيع ان يعمل بعد الغداء .. وكانت شرحة اللحم لم تفارق صحنني بعد بينما كان السالمون قد اختفى من صحنها ، فوامأت للجارسون وهي تقول : « اني لا آكل الا صنفاً واحداً كما ترى ، الا اذا كان عندهم بعض الهليون ، فالهليون لا يدانيه في سرعة الهضم إلا سمك السالمون .. اني لا آكل الا صنفاً واحداً .. ولكن اذا الحجت فلا بأس ببعض الهليون كسبيل للمحادثة . » ورحت العن الطب والاطباء ، وما يتحفظوننا به من نصائح .. يجب ان تمضغ جيداً .. حتى يتخلل اللعاب اللقمة . ويتم الهضم في الفم . وسألني بلطف وكرم زائد : « ألا تأكل بعض الهليون ؟ » ولم اسكن بحاجة لسؤال ، فقالت : هناك اناس - والحق يقال لا يحبون الهليون .. ولا يسعني ان اتصور سبب ذلك .. اما انت فانك تفسد ذوقك بما تأكله من هذا اللحم .. »

ولم يكن بسؤال آنذاك ما اذا كانت النقود التي في جيبي تكفيني حتى نهاية الشهر ، بل كان يجب ان اعرف اولاً اذا كانت تكفي لدفع الحساب .. سيكون موقفاً حرجاً لو وجدت نفسي مضطراً للاقتراض من صاحبتني .. ولكن لا يمكن ان افعل ذلك .. كنت اعرف ان جيبي لا يمكن ان تحوي اكثر من ثمانين فرنكاً ذهبياً الا اذا كانت الفرنكات الذهبية تتزوج وتتكاثر . وكدت اعرف انه ليس امامي الا حل واحد اذا لم ينطبق حسابي على حساب الجارسون .. ان اضع يدي في جيبي .. وانض مدهوشاً بحركة تميلية قائلاً اني قد سرقت .. واذا كانت صاحبتني لا تحمل ما يكفي لتسديد الحساب فما علي الا ان اترك ساعتني كرهينة .. لأعود يوماً ما اذا شاء الله .. ونقص الشهر بضعة ايام .. او عشر الحظ وربحت باليانصيب ..

وجاء الهليون ، فداعبت انفي رائحة الزبدة الذائبة ، تماماً كما داعبت انف يهوه رائحة القرايين المقدمة بين يديه .

وكان لا بد من القهوة ، لتساعد على هضم السالمون والهليون مع انهما لا يحتاجان الى مساعدة .. وقالت صاحبتني وهي ترشف قهوتها بصوت مسموع كاد يطفى على صوت الموسيقى المنسابة في ارجاء المطعم : اني اعتقد اعتقاداً كلياً ان المرء يجب ان يقوم عن مائدة الطعام وهو يشعر ببعض الجوع .. « فسألته بفارغ صبر : « أولاً ترالين جائعة ؟ » فاجابت قائلة : « لست بالطبع جائعة .. ولكني لا احب ان اتخم معدتي في اية وجهة .. اني اشرب في الصباح بعض القهوة .. ولا آكل الا في المساء .. ولكنني اتحدث عنك .. فاكل اللحوم الحمراء يثقل على معدتك .. فلا تستطيع ان تكتب او تفكر .. »

ثم .. كان شيء لم احسب له اي حساب .. فقد جاء الجارسون وعلى وجهه ابتسامة مرضية ، وفي يده سلة صغيرة مغرية كابتسامته .. ومليئة بدراق ترينه بعض الحمرة تماماً كوجنة الفتاة الصغيرة لوّنها الحجل بالاحمرار .

وعادت صاحبتني الى الحديث ، وكانت مغرمة بالتحديث عني .. عن شرحة اللحم التي استقرت في زاوية صغيرة من زوايا معدتي .. لا عن قصصي وكتبي وادبي : « لقد اتخمت معدتك بشرحة اللحم فلم تعد تستطيع هضم اي شيء آخر .. اما انا فساكل بعض الدراق .. والدراق مفيد .. وسريع الهضم كالهليون .. »

واخيراً .. جاءت قائمة الحساب .. فتذكرت البلديات وفائدتها للشعب ، فهي التي تسعر الاطعمة .. والاقمشة .. وكل شيء .. وانتقلت الفرنكات الثمانون من جيبي لتستقر على الطاولة ، فريقتها صاحبتني بنظرة ذات مغزى .. كان (البختيش) متواضعاً .. لا يلبق بشاب مهذب ان يدفعه في مطعم فوييه .

ولم يكن هذا كل شيء .. فعندما ركبت السيارة ودعنتي بنصيحة اخيرة : « يجب ان تقندي بي .. فانا - كما ترى - لا آكل الا وجبة خفيفة .. يجب ان تمهض من .. » وانقذني السائق اذ لمح اللون الاخضر .

اني لا احب الانتقام .. ولكن الظروف دوماً يجانبي أتعرف كم ترن صاحبتني اليوم ؟

نقلها الى العربية

عبد الرزاق السيد